العلامة الشيخ

محمد الحامد

حكم الاسلام في

الغناء والموسيقى

دار الأسماء

وعلم آدم الأسماء كلها

العلامة الشيخ

محمد الحامد

حكم الإسلام في الغناء والموسيقى



الطبعـــة الأولى

١٤١١ هـ

١٩٩١ م

الإدارة : ارض اللواء ـ المهندسين ت: ٣٤٤٨٨٠٥

المخازن : ش الملك فيصل ـ ناصية اللبنى ت : ٣٨٧٣١٣

تطلب جميع منشوراتنا من مكتبة شباب الدعوة بالأزهر ت : ٩٠٤٧٣٣

نص سؤال موجه الى فضيلة الشيخ محمد الحامد . .

مجلـــة النـــواعير الســـورية

زاويـــة المنـــبر الحــر

هـــل يحرم الإسلام الموسيقى والغنـــاء ؟

قرأت فى مجلة روز اليوسف العـــدد ١٥١٤ فى الصفحة ٢٢ عنوانا ضخما يقـــول : (النبى محمد يحب الغنـــاء) وهذا هو النص اذا أحببت أن تقـــرأه :

« قرأت فى صباح الخير أن خطيب مسجد سيدى الهوارى فى بنى سويف هاجم السيدة أم كلثوم فى آخر خطبة له فهجم عليه بعض المصلين يريدون الاعتداء عليه مدافعين عن أم كلثوم التى أغرموا بسماعها » .

« ولنـــدع أصحاب الفضيلة جانبا لنرى الى أى حـــد وسع الدين الاسلامى المظلوم كل فن جميل . . . ولست أعنى بالاسلام مؤلفات بعض الفقهاء الذين ينسبون الى ائمة الاسلام تحريم الغناء أو كراهته ويحملون الحملات الشعواء على رجل عظيم مثل الامام الغزالى الذى أجازه ما دام بعيدا عن التحريض على العشق والفجور ؟ أقول : لست أعنى بالاسلام

هذه المؤلفات التي عفى عليها الزمان ، وانما أعنى بالاسلام القرآن الكريم وأحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام .

أمـا القرآن فيقول « ورتل القرآن ترتيلا » وترتيـل القرآن هـو تحسينه وأداؤه اداء فنيا جميلا ، أما السنة فتقول : أن رسول الاسلام صلى الله عليه وسلم سمع بعض الجوارى يغنين ويضربن بالدفوف فى عرس تلميذته وصديقته السيدة « الربيع بنت معوذ » وكان جالسا على مقـربة منهـا ، وحينها قالت احدى المغنيات : « وفينا نبى يعلم ما فى غـد » لم يرضه هذا المديح المسرف الذى لا يليق الا بالله علام الغيوب ، فلم يزد على أن قال للجارية فى هدوء ولين : « دعى هذا الاسراف فى المديح وقولى بالذى تقولين ، وامضى فى غنائك » فمضت الجارية فى غنائها ، والرسول يستمع لها فى غبطة وانشراح (أنظر القسطلانى ج ٥ ص ٩٥ والاجابة ج ٨ ص ٨) .

« وتقول السنة المحمدية أيضا : أن الرسول أبصر نساء وصبيانا مقبلين من عرس فيه غناء ، فقام مسرعا فى سرور وارتياح وهو يقـول : « اللهم أنتم من أحب الناس الى » القسطلانى ج ٨ ص ٨٥ . . وجاء فى البخارى : « أن أبا بكر الصديق دخل على عائشة رضى الله تعالى عنها وبين يديها مغنيتان تغنيتان وتلعبان بالدف فى يـوم العيـد ، وعلى مقربة منهما كان الرسول يستمع . . . فانتهر أبا بكر عائشة غاضبا » . . . ولكن الرسول قال له مؤدبا : « دعها يا أبا بكر فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا » (تيسير الوصول ج ٣ ص ٢٨٠) وهذا الذى قال الرسول عليه الصلاة والسلام لأبى بكر قاله أيضا لعمر حين أنكر هو الاخر على عائشة غنائها وسماعها الغناء وبلغ من احتفال الرسول بالغناء وتقديره للمغنيات انه كان يلقن بعضهن ما تيسر من الاغانى ، ويدل على ذلك أنـه سـأل عائشة رضى الله عنها ذات يوم فى مناسبة سارة : « هل أهديتم الفتاة الى

بعلها ؟ قالت : نعم . . فقال الرسول عليه الصلاة والسلام : فهل بعثتم معها من تغنى ؟ قالت : لا . قال الرسول عليـه الصلاة والسلام : أو ما علمت يا عائشة أن الأنصار قوم يعجبهم الغـزل ؟ ألا بعثتم معها من يقول : أتيناكم أتيناكم . فحيونا نحييكم . ولـولا الحبة السمراء . لـم نحـل بواديكـم .

وكان « لكثير من الصحابة والتابعين أسوة حسنة فى الرسول الفنان (كذا) عليه الصلاة والسلام » .

قال عامر بن سعد : دخلت على قرظة بنت كعب وأبى مسعود الأنصارى فى عرس من الاعراس ، فاذا جـوار يغنين ، فقلت : يا صاحبى رسول الله أيفعل هذا عندكم ؟ فقال له : اجلس ان شئت فاستمع منـا وان شئت فاذهب فانه قد رخص لنا اللهو عند العرس . ويحدثنا التاريخ أن المدينة المنورة أتى عليها حين من الزمان ، كانت فيه كعبة تلوذ بها كل فنانة وفنان ، ولمـا أراد أحد ولاتها أن يضيق على الفن فيها ذهب اليه ابن أبى عتيق — وهو حفيد أبى بكر الصديق — واحتال عليه وتلطف معه حتى جعله يرضى بسماع المغنية المشهورة (سـلامة) وسرعان مـا ذابت شوائب التعصب أمام حرارة الفتنـة الجميلة فعدل عن اضطهاده للفـن وأربابه ، والفضل فى ذلك لابن أبى عتيق الذى عرف عنه حبه للفن وغرامه بسماع الغناء الى درجة انه حينما بلغه أن أحدهم اعتدى على مغن أو فنان ، سارع الى المعتدى وأخذ يضربه انتقاما للفنان وهو يقول : كيف تجرؤ على أن تحطم مزامير داوود ؟ والامام مالك بن أنس صاحب المذهب الفقهى المشهور كان فنانا مرموقا فى شبابه ، وطالمـا تغنـى بالأبـيات المرقصـة الاتيـة :

سليمى أزمعت بينا . . فأين تظنها أينا . ؟ وقد قالت لأتراب . .

لهـا زهى تلاقينـا . . تعالين فقد طاب . . لنـا العيش تعالينـا . .
وكانت الموسيقى فنا يدرسه الأزهر الشريف نفسه فى بعض عهوده الماضية حتى لقـد وصفها أحد علماء الأزهر الشريف المعاصرين الذين ما يزالون على قيـد الحياة بأنهـا ـــ أى الموسيقى ـــ اذا كانت تخدم غرضا وطنيا نبيـلا ، فهى كالصلاة والزكاة والصوم واذا كان لابد من ذكر اسم هذا العالم الأزهرى الجليل ، فلنقل إنه صاحب الفضيلة الشيخ أحمد الباقورى وزير الأوقاف والرئيس الأعلى لجميع خطباء المساجد ، ومنهم خطيب مسجد الهوارى الذى حمل حملتـه الشعواء على أم كلثوم . . هكذا كان العرب والمسلمون . . أيام حضارتهم العظيمة . . وما دالت دولتهم الا فى الوقت الذي دالت فيه دولة الفن الجميل تحت وطأة التقاليد المحطمة الباليـة ، التى جعلت بعض الفقهاء المتأخرين يفتون بأن المغنى الفنان لا تقبل شهادته وجعلت خطيب مسجد الهوارى فى بنى سويف يهاجم أم كلثوم . . . الواقع « الغزالى فى حـرب » . . .

هذا هو النص يا سيدى حرفيا فما رأيك فيـه ؟ وما معنى هذا اذا كنت قـد سمعت أن من استمع الى مغنية صب فى أذنيه الرصاص يـوم القيـامة وغير ذلك من الأحاديث التى تحرم الغناء ؟ وأيهما الأصح . . .

وأنا أعتقد انه اذا كان سماع الأغانى والموسيقى حرامـا فعـلى الرجال فقط لأن صوت المرأة لا يجب أن يسمعه أى رجل فكيف تغنى ؟

اما نحـن النساء فان استمعنا للرجال والنساء فلا ضـير علينـا فمـا رأيك ؟ .

أؤكد لك انى استمع للغناء للتسلية فقط ولا يهمنى أن تؤثر فى كلمات الأغنية ومعانيها الغزلية مهما كانت ، أحب الأغنيـة لموسيقاها الجميلة

فقط فهل استماعى لهذا الغناء على هذه الصورة حرام أو حلال ؟ أرجو ان تقنعني وهل حرام ذكر الله تعالى او ذكر محمد عليه الصلاة والسلام في الاغاني وان كانت من أجل الحماسة كأغنية الله اكبر التي ظهرت إثنـاء اعتداء الأعداء على مصر في المدة الأخيرة وما السبب ؟

انتـــهى

السيدة رجاء : حماة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمــد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد رسول الله وعلى آله وصحبه .

الإســلام والغنــاء

(الرد)

قــد كان حسنا أن يكون السؤال فى كتــاب خاص من حيث أن الزمن زاخر بالفتنة ، والأهواء تقود ذويها إلى العطب وتحكمهم كما تشاء وهم متابعوها فى اجتراح الآثام التى حرمها الإسلام غير عابئين بأوامره وزواجره فكيف بها إذا لمحت بالباطل تكأة تدعو إلى الرخصة ، فى غلط من الداعى إليها لعــدم وقوفــه على الحقيقة الدينيـــة .

وكثير ممن يطالعون السؤال لا تقع ابصارهم على جوابه وما أكثر الصوارف عن المعرفة الصحيحة ، وقد تبقى اذهانهم ملتاثة بخطأ دينى له جسامته وله خطره . على أن الجواب الحق قــد لا يروق لبعض الناظرين لمكان الفتنة من قلوبهم وقــد كان سببها هــذا ـ الاعلان بسؤال يزيدها فيها تمكنا وتوطنا .

وقــد رأيت أن أقدم بين يدى الموضوع ما جاء من الأحاديث الشريفة ناهيا عن الغناء الآثم ، ثم أتبعه بما يحل منه عموما وما يحرم ، ثم أعمد إلى مناقشة السؤال مقطعا ـ مقطعا . . إيضاحا

للأخطاء الكامنة فيه ، وإبرازا للضمائر السيئة المستترة بكلماتـــه والله عليـــم بذات الصدور .

اولا :

الأحاديث الشريفة الناهية عن الغناء الآثم

١ ــ روى الإمام احمد بن حنبل ، واحمد بن منيع ، والحارث بن ابى اسامة عن سيدنا رسول الله ﷺ انه قال : « إن الله عز وجل بعثنى رحمة وهدى للعـــالمين وامرنى ان امحـــق المزامير والمعازف والخمور والأوثان التى تعبد فى الجاهلية ، واقسم ربى بعزته لا يشرب عبد الخمر فى الدنيا إلا سقيته من حميم جهنم معذبا او مغفورا له ، ولا يدعها عبد من عبيدى تحرجا عنها إلا سقيتها إياه فى حظير القـــدس » .

٢ ــ وروى البزار عن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ : انـــه حرم الميتـــة والميسر والكوبة يعنى الطبل ، وقال كل مســـكر حـــرام .

٣ ــ وعن ابى هريرة رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال : « يمسخ قوم من أمتى فى آخر الزمان قردة وخنازير » قالوا : يا رسول الله أمسلمون هم ؟ . قال : « نعـــم ويشـهدون ان لا إله إلا الله وانى رسول الله ويصومون » قالوا : فمـــا بالهم يا رسول الله ؟ قال : « اتخذوا المعازف والقينات ــ المغنيات ــ والدفوف وشربوا الأشربة فباتوا على شرابهم ولهوهم فاصبحوا

وقد مسخوا » . رواه مسدد وابن حبان ولفظه قال رسول الله ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يكون . . . »

٤ — وروى البخارى والإسماعيلى وأحمد وابن ماجه وأبو نعيم وابو داوود أنه ﷺ قال : « ليكونن فى أمتى أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف » ، الحر : الفرج والمراد استحلال الزنا والحرير والمسكرات وآلات اللهو المطربة .

٥ — وعن على رضى الله عنه وكرم وجهه أن رسول الله ﷺ : « إذا فعلت امتى خمس عشرة خصلة حل بها البلاء : إذا كان المغنم دولا ، والأمانة مغنما ، والزكاة مغرما ، واطاع الرجل زوجته ، وعق أمه ، وبر صديقه ، وجفا اباه ، وارتفعت الأصوات فى المساجد ، وساد القبيلة فاسقهم ، وكان زعيم القوم ارذلهم ، واكرم الرجل مخافة شره ، وشربت الخمر ، ولبس الحرير ، واتخذت القينات والمعازف ، ولعن آخر هذه الأمة اولها ، فليرتقبوا عند ذلك ريحا حمراء أو خسفا أو مسخا » رواه الترمذى .

٦ — وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما ان النبى ﷺ قال ، « أمرت بهدم الطبل والمزمار » . اخرجه الديلمى .

٧ — قال ابن مسعود رضى الله تعالى عنه : « الغناء ينبت النفاق فى القلب كما ينبت الماء البقل » . وهذا منه له حكم حديث المرفوع إلى النبى ﷺ إذ مثله لا يقال من جهة الرأى .

٨ ـــ واخرج ابن ابى الدنيا وابن مردويه عن ابى امامـــة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله ﷺ قال : « ما رفع احد صوته بغناء إلا بعث الله تعالى إليه شيطانين يجلسان على منكبيه يضربان أعقابهما على صدره حتى يمسك » .

٩ ـــ وعن على رضى الله تعالى عنه وكرم وجهه ان رسول الله ﷺ نهى عن ضرب الـدف ولعب الصـنج وضرب الزمارة . اخرجـــه الخطابى .

١٠ ـــ وعن أنس رضى الله تعالى عنه ان رسول الله ﷺ قال : « من قعد إلى قينة يستمع منها صب الله فى اذنيه الآنك يوم القيامة » . رواه ابن المصرى فى أماليه وابن عساكر فى تاريخـــه والآنك هو الرصاص المذاب .

١١ ـــ عن صفران بن امية رضى الله تعالى عنه ان عمرو ابن قرة قال : كتب على الشقوة فلا ارزق إلا من دفىء فاذن لى فى الغناء من غير فاحشـة فقال له رسول الله ﷺ : « لا آذن لك ولا كرامة ولا نعمة عين . كذبت اى عدو الله ، لقد رزقك الله حلالا طيبا واخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما احل الله لك من حلاله ، ولو كنتتقدمت إليك ـــ اى بالنبى قبل الآن ـــ لفعلت بك وفعلت قم عنى وتب إلى الله ، اما إنك لو قلت بعد التقدمة شيئا ـــ اى لو فعلت ما نهيتك عنـــه بعد الآن ـــ ضربتك ضربا وجيعا أو حلقت راسك ونفيتك عن اهلك واحللت سلبك ـــ اى ما عليك من ثياب ومتاع ـــ نهبه لفتيان المدينـــة هؤلاء العصاة ـــ اى الذين

يفعلون مثل فعل عمرو ــ من مات منهم بغير توبة حشره الله تعالى يوم القيامة كما كان فى الدنيا مخنثا عريانا لا يستتر من الناس بهدبه كلمــا قام صرع » رواه البيهقى والطبرانى ، ورواه الديلمى الى قوله : وتب إلى الله وزاد : وأوسع على نفسك وعيالك حلالا فإن ذلك جهاد فى سبيل الله واعلم ان عون الله مع صالحى التجار .

١٢ ــ وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه أن النبى ﷺ قال : « إن الله حــرم على أمتى الخمر والميسر والكوبة . . » ، واشــياء عددها . رواه احمد وأبو داوود وابن حبان زاد البيهقى وهو ، أى الكوبة طبل طويل متسع الطرفين ضيق الوسط ورواه ابو داوود من حديث ابن عمــر وزاد (والغبيراء) وزاد احمــد (والمزمار) ورواه احمد أيضا من حديث قيس بن مسعود بن عبادة رضى الله تعالى عنهما ، والغبيراء اختلف فى تفسيرها ــ فقيل : الطنبور ، وقيل : العود وقيل : البربط . وقيل غير ذلك .

١٣ ــ وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى ﷺ قال : إذا كان يوم القيامة قال الله عز وجل : « اين الذين كانوا ينزهون اسماعهم وأبصارهم عن مزامير الشيطان ميزوهم . فيميزونهم فى كتب المسك والعنبر ثم يقول للملائكته : اسمعوهم تسبيحى وتمجيدى فيسمعون بأصوات لــم يسمع السامعون مثلهــا » ، اخرجــه الديلمــــى .

١٤ ــ وعن ابى موسى رضى الله تعالى عنه ــ ان النبى ﷺ ، قال : « من استمع إلى صوت غناء لم يؤذن له ان يستمع إلي صوت الروحانيين فى الجنة » رواه الحكيم الترمذى .

١٥ — وعن انس وعائشة رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ قال : « صوتان ملعونان فى الدنيا والآخرة ، مزمار عند نغمة ، ورنة عند مصيبة » رواه البزار وابن مردوية والبيهقى .

١٦ — وعن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما أن النبى ﷺ نهى عن الغناء ، والاستماع إلى الغناء ، وعن الغيبة والاستماع إلى الغيبة والنميمة والاستماع إلى النميمة . رواه الطبرانى والخطابى .

١٧ — وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه انه سئل عن قوله تعالى ، (ومن الناس يشترى لهو الحديث) فقال : الغناء والذى لاإله غيره رواه ابن أبى شيبة بإسناد صحيح وأخرجه الحاكم وصححه والبيهقى وغيره .

ثانيا :

ما يحل وما يحرم من الغناء

وهناك روايات اخرى لم أوردها لئلا تكون إطالة . وإن فى بعض هذه الأحاديث لذكرى لقوم يعقلون ، إن بعضها يكفى لبيان حكم الغناء الفاسق فى الإسلام ، ويهدى ذا القلب السليم إلى طريق السلامة من هذا الإثم الذىيدهده إلى الأسوأ ويجعل الهوى حاكما ، وعلى أصحابه قائما .

أما ما يحل وما يحرم من الغناء فإليك خلاصة مما قاله الفقهاء فيه :

يباح الغناء إن كان لبعث الهمة على العمل الثقيل او لترويح النفس أثناء قطع المفاوز كالارتجاز ، فقد ارتجز النبى وأصحابه ﷺ فى بناء المسجد وحفر الخندق ، وكالحداد الذى يحدو به الأعراب إبلهم ، وكالشعر السالم من الفحش ووصف الخمر وحاناتها والتشبيب بامراة حية معينة ، والخالى أيضا من هجاء مسلم أو ذمى ، فإن الغناء بهذه المحترزات حرام .

فإن كان التشبيب بغير معين جاز فقد أنشد كعب ابن زهير بحضرة النبى ﷺ .

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا
إلا اغن غضيض الطرف مكحول
تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت
كانه منهل بالراح معلول

وقد سمع ﷺ أيضا قصيدة حسان التى اولها :

تبلت فؤادك فى المنام خريدة
تسقى الضجيع ببارد بسام

ومن هذا النوع المباح غناء النساء لينام الصغار

ومنه الغزل البرىء مما ذكرنا كالذى يقوله النساء فى الأعراس ولا رجال يسمعونهن ، فقد أذن النبى ﷺ أن يقلن :

اتيناكم اتيناكم فحيانا وحياكم

ومنه الزهديات المجردة مما فيـه وصف الرياض والرياحين والأزهار والأنهار المطردة فهذا كله جائز إن لم يقل على آلة لهـو محرمة فإن قيل عليها كان محظورا ولو وعظا وحكما لمكان الآلـة لا لذات التغنى بالمباح .

وإذا كان غناء المتغنى فى خلوته لدفع الوحشة عن نفسـه ففيـه اختلاف الفقهاء : أجازه فريق بغير كراهة لأنه ليس على سبيل اللهو احتجاجا بما روى أنس بن مالك انه دخل على أخيـه البراء بن مالك وكان من زهاد الصحابة فوجده يتغنى ، وكرهه آخرون وحملوا تغانيه على إنشاد الشعر المباح الذى فيه حكـم ومواعظ وليس بمعناه المشهور ، فهو كالذى فى قوله عليه الصلاة والسلام : « ليس منا من لم يتغن بالقرآن » .

وقد قسم الغزالى السماع إلى محبوب كمـا إذا غلب على السامع حب الله تعالى ولقائه ليستخرج به أحوالا من المكاشفات والملاطفات ، وإلى مباح كأن كان عنده عشق مباح لزوجته أو لمن عليه حب الله تعالى ولا الهوى ، والا يكون محرما بأن غلب عليه هـوى محـرم .

وخالفه سلطان العلماء الشيخ عز الدين بن عبد السـلام فيمن لم يغلب عليه حب الله تعالى ولا الهـوى فحكـم بكراهـة السماع فى حقه .

وهذا التفصيل كله فيما إذا لم يكن الغنـاء لرجل من امرأة أجنبية إذ يحرم عليه سماعة منها لأن صوتها عورة ، وقال بعض

الفقهاء ، ليس بعورة لكل لا اثر لهذا الخلاف هنا لاتفاق الكل على وجوب غضه .. نعم بحث بعضهم فى أنه قد يكون له أثر فى الصلاة إذا رفعت صوتها فقد تفسد صلاتها فى قول القائلين انه عورة . لكن نقل الرافعى فى تقريراته على رد المحتار عن السندى أنــه ليس بعــورة على الصحيح وإلا لفســدت صلاتها بالجهــر ولا قائــل بــه . ا هـ .

وقد اتفق العلماء على منعهــا من الأذان لانهــا إذا اخفت صوتها اخلت بالإعلام الذى هو الغاية من الأذان ، وإن اظهرته فتنت الناس به فلذا لا تؤذن المراة ، اما الآلات المطربة حرام ولو بلا غناء كالمزمار والطنبور والعود .

ويباح الدف فى النكاح وما فى معناه من الحوادث الســارة ويكره فى غيره فقد كان عمر رضى الله تعالى عنه إذا سمع صوت الدف ينظر فإن كان فى وليمة سكت وإن كان فى غيرها عمد بالدرة اى ضربهم بها . وأكثر ما تقام الوليمة على العرس .

وإباحة الدف مقيدة بما إذا كان بغير جلاجل اما بها فلا يباح ولا سيما الصنوج اللطاف الموضوعة على جوانبــه فى خروق . فهى فى الإطراب والتهيج اشد من كثير مما اتفق على تحريمه من آلات اللهو .

والأصل الجامع فى هذا ما ورى عن جابر بن عبد الله وجابر بن عمير أن رسول ﷺ قال : « كل شىء ليس من ذكر الله لهــو ولعب إلا ملاعبة الرجل امراتــه وتاديب الرجل فرســه » رواه

النسائى ، وفى رواية : اللهو فى ثلاث : تاديب فرسك ، ورميك بقوسك ، وملاعبتك اهلك .

ثالثـا :

مناقشة السؤال وتمحيصه

وقد حق لنا بعد هذا الذى قدمناه أن نعمد إلى السؤال فنناقشه مناقشة علمية ممحصة يتبين بها الحق من الباطل والرشد من الغى ، مناقشة ينهزم بها الباطل وتخمد انفاسه بعون الله القوى العزيز ولا تقوم له قائمة إلا فيمن كان خلقه الشغب على الحق واهله ، ولن يلتفت إليه بعد ان قال الله تعالى : « خذ العفو وامر بالعرف واعرض عن الجاهلين » (١) .

١ ــ دعوى إجازة الغزالى سماع الغناء مطلقا غير صحيحة ، فإنه لم يجزه إلا لمن كان عنده عشق لزوجته أو لمن يغلب عليه حب الله تعالى لا الهوى وبشرط أن لا يكون من امرأة اجنبية أو أمرد جميل وأن لا يكون غناء محرما كما أسلفنا ، فان هذه الملاحظات لابد منها إذ من قواعد الشريعة سد الذرائع إلى الفساد ، فمهما خشيت الفتنة كان الحظر . على أن سلطان العلماء العز بن عبد السلام خالفه فيما اباحه فقال بكراهته كما قدمنا .

---

(١) الأعراف : ١٩٩ .

ثم إن هذه الحملة على الفقهاء رضى الله تعالى عنهم — والطعن فيما خلفوا من ثروة علمية ضافية لا تكون ممن عرف لهم فضلهم وسلك مسلكهم وآمن بأنهم حقا ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولولاهم لذهب العلم وضل الناس وصاروا إلى فوضى فكرية لا يجدون معها منارا لهدى أو قبسا من رشاد ، ورحم الله من قال : **إنما يعرف الفضل من الناس ذووه** .

وقد ألمع النبى صلوات الله عليه وسلامه إلى فضلهم بقوله الكريم : « يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين » .

ليقل لنا هؤلاء المتهجمون بالباطل على سادات الناس ومصابيح الدجى ونجوم الهدى ، إلى من يرجعون فى حل مشاكلهم الدينية إن كانوا مؤمنين ؟ . . أليس إليهم وإلى كتبهم يكون الرجوع ، أليست أقوالهم هى الفصل فى أمور النكاح والطلاق والعائلة وهى أخص ما يلزم المرء فى شرفه وعرضه وذريته ؟ أليس السير على نبراس هداهم هو المعرف لنا الحلال من الحرام فى المطعم والملبس ، بل وفى العبادة الصحيحة التى خلقنا الله تعالى من أجلها ؟ (١)

لقد وفرهم الله تعالى على خدمته بالعلم فأجادوا وأفادوا .

---

(١) العبادة المقصودة هى كل عمل من صلاة ونسك ومحيا وممات قصد به وجه الله وحده .

وقبيح بنـــا وإن قـــدم العهـــ ـــد عقـــوق الآباء والأجداد

وبعد فإن القوم أطواد شوامخ لا تعمل فيهم هجمات الضعف العلمى والقصور فى العقل .

يا ناطـــح الجبـــل العـــالى ليكلمـــه
اشفق على الرأس لا تشفق على الجبل

إنهم لم يخرجوا عن الكتـــاب والسنة ولكنهم فى مستوى من الفهم عال لم يرق الطاعنون عليهم أول مرقاة منه .

٢ ـــ قوله تعالى : « ورتل القرآن ترتيلا » (١) ليس فيه اى دليل على إباحة التغنى بالغناء الفاسق . . ولنرجع إلى تفسير الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام لهذه الآية : أخرج العسكرى فى المواعظ عن سيدنا على كرم الله وجهه ورضى عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن هذه الآية فقال : « بينه تبيينا ولا تنثره نثر الدقل ولا تهذه هذ الشعر ، قفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب ، ولا يكن هم أحدكم آخر السورة » .

هذا هو الترتيل للقرآن الكريم بمعناه الصحيح . أما قراءته بالألحان فقد اختلف فيها الأئمة فمن مانع ومن مجيز والحق أنهـــا جائزة بغير مد ولا تمطيط يحصل بهما زيادة فى الحروف أو إخلال

---

(١) المزمل : ٤ .

فى قواعد التجويد بأن تكون النغمة خاضعة للقاعدة التجويدية وإلا فمحظورة يفسق بها القارىء والسامع المستحسن .

٣ ــ أما الغناء فى عرس الربيع بنت معوذ فقد كان من جويريات صغيرات وهن يسامحن بما لا يسامح به المكلفون والمكلفات واصواتهن لا تدعو الى الفتنة على أن العرس يغتفر فيه الغناء غير الفاسق ويباح فيه الضرب بالدف كما قدمنا وإليك أيها القارىء نص الرواية فى صحيح البخارى كى تقف على الحقيقة الناصعة . . قال الإمام البخارى فى صحيحه :

باب ضرب الدف فى النكاح والوليمة

حدثنا مسدد قال حدثنا بشر بن المفضل حدثنا خالد بن ذكوان قال : قالت الربيع بنت معوذ بن عفراء : جاء النبى ﷺ فدخل حين بنى على فجلس على فراشى كمجلسك منى فجعلت جويريات لنا يضربن بالدف ويندبن من قتل من أبائى يوم بدر إذ قالت إحداهن : وفينا نبى يعلم ما فى غد ، فقال : « دعى هذه وقولى بالذى كنت تقولين » . ا هـ .

والذى فى السؤال (قالت إحدى المغنيات) ! وهذا تحريف للكلم عن مواضعه فالجويريات أخص من مطلق المغنيات من حيث انهن صغيرات غير مكلفات ، والمتبادر إلى الذهن من (المغنيات) ! أنهن كبيرات والواقع ليس كذلك فيما يفهم من كلمة (جويريات) .

وجاء فى السؤال أن الرسول عليه الصلاة والسلام قال

لنساء وصبيان مقبلين من عرس فيه غنـــاء (اللهم أنتم من احب الناس الى) . ا هـ . وهذا ليس فيه دليل على إباحة الغناء مطلقا فقد قلنا أنه يباح فى العرس للنساء . وإذا كان معهم صبيان فإنهم لــم يبلغوا الحلم ولــم يكلفوا بعد ، فأى حرج فى وجودهم مــع النساء فقد استثناهم الله ممن لا يبدى النساء لهــم زينتهم بقوله الكريم : « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » (١)

٥ ـــ وفى السؤال : وجاء فى البخارى أن ابـــا بكر الصديق دخل على عائشة وبين يديهـــا مغنيتان تغنيان وتلعبان بالدف فى يوم العيد ، وعلى مقربة منهما كان الرسول يستمع . . فانتهــر أبو بكر عائشة غاضبا . ولكن الرسول قال له مؤدبا (دعهما فان لكل قوم عيدا وهذا عيدنا) . ا هـ .

وها انـــا ذا انقــل الرواية بلفظها من صحيح البخارى كى يتبين التحريف فى السؤال كما تبين فى الرواية السابقة :

قال الإمام عبد الله البخارى فى صحيحه : حدثنا إسماعيل قال حدثنى ابن وهب قال عمرو حدثنى ابو الأسود عن عروة عن عائشة رضى الله تعالى عنهـــا قالت : دخل على رسول الله ﷺ وعندى جاريتان ـــ أى دون البلوغ من جوارى الأنصار كما قال الشارح القسطلانى ـــ تغنيان بغناء بعاث ـــ حصن اقتتل عنده الأوس والخزرج قبــل الهجرة ـــ فاضطجع على الفراش وحول

---

(١) النـــور : ٣١ .

وجهه ــ للإعراض عنه وإن سوغه كما فى القسطلانى ــ فدخل أبو بكر فانتهرنى وقال : مزمار الشيطان عند رسول الله ﷺ . لأنه لم يعلم أنه ﷺ أقرهن على هذا القدر اليسير كما فى القسطلانى ــ فأقبل عليه رسول الله ﷺ فقال : دعهما يا أبا بكر إن لكل قــوم عيدا وهذا عيدنا . قالت عائشة فلمــا غفــل غمزتهما فخرجتا . . . الخ .

فكم من فرق بين ما فى السؤال وبين ما فى الرواية الصحيحة وما يوضحها من ملتقطات من شرح العلامة القسطلانى كما رأيت أيهــا القــارىء .

٦ ــ فى السؤال : وبلغ من احتفال الرسول بالغناء وتقديره للمغنيات ! (كذا) أنه كان يلقن بعضهن ما تيسر من الأغانى . ثم ذكر فى السؤال ما أرويه بلفظه عن صحيح البخارى مع ملتقطات من شرح القسطلانى ولا يخرج الحديث عن إباحة الغناء للنساء فى عرس كما قدمنا ولابد من ملاحظة (أنه لا رجال معهن) .

قال البخارى فى صحيحه : حدثنا الفضل بن يعقوب حدثنا محمد بن سابق حدثنا إسرائيل عن هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة انها زفت امراة إلى رجل من الأنصار فقال نبى الله ﷺ يا عائشة : ما كان معكم لهو ؟ ــ فى رواية شريك ، فقال : فهــل بعثتم معها جاريه تضرب بالدف وتغنى ؟ قلت : تقول ماذا ؟ قال : تقــول :

أتينــاكم أتينــاكم فحيــانا وحياكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم

ولولا الحنطة السمراء   ما سمنت عذاريكم

فإن الانصار يعجبهم اللهو .

قال القسطلانى : وفى حديث ابن عباس عند ابن ماجه : قوم فيهم غزل ، وفى حديث عبد الله بن الزبير عند احمد وصححه ابن حبان والحاكم (أعلنوا بالنكاح) زاد الترمذى وابن ماجه من حديث عائشة (واضربوا عليه بالدف) وسنده ضعيف ، ولأحمد والترمذى والنسائى من حديث محمد بن حاطب (فصل ما) بين الحلال والحرام الضرب بالدف) . ا هـ .

وكل هذا لا يخرج عن كونه دليلا لما استنبطه الفقهاء من جواز غناء النساء وحدهن فى العرس ، من الضرب فيه بالدف ايضا ، وليس فيه إباحة الغناء الآثم والضرب بالأوتار والآلات المحرمة .

٧ ــ ادعى السؤال ان كثيرا من الصحابة والتابعين كانوا يحبون الغناء ويروى عن قرظه بنت كعب وابى مسعود الانصارى انهما سمعاه فى عرس وادعيا الرخصة فى اللهو عند العرس . ا هـ .

وجوابنا على هذا أن اللهو فى العرس هو الضرب بالدف والغناء السالم من الفسوق وقد قدمنا نموذجا منه ، ولا حجة فيه على الإباحة مطلقا لمكان النصوص الناهية عن غير المأذون فيه . على أن هذه النسبة إلى الصحابة غير ثابتة قال العلامة ابن حجر الهيثمى فى كتابه (كف الرعاع ، عن محرمات اللهو والسماع) قال الأذرعى : وما نسب الى الصحابة أكثره لم يثبت ، ولو ثبت منه

شيء لم يظهر منه أن ذلك الصحابى يبيح الغنـاء المتنازع فيـه ، فالمروى عن عمر رضى الله تعالى عنه أن غلاما دخل عليه فوجده يترنم ببيت أو نحو ذلك فعجب منه ، فقال : إذا خلونا قلنـا كما تقول الناس .

فالله أعلـم ما كان ذلك البيت وما كان ترنمـه وصـفته . وصح عن عثمان رضى الله تعالى عنه أنه قال : مـا تغنيت ومـا تمنيت . اى ما زنيت .

فإطلاق القول بنسبة الغناء المتنازع فيه واسماعه إلى ائمة الهدي تجاسر يفهم الجاهل منه هذا الغناء الذى يتعاطاه المغنون المخنثون ونحوهم . ا هـ .

وقال الشيخ الإمام ابراهيم المروزى فى تعليقه : وعن عمرو عبد الرحمن بن عـوف وابى عبيـدة بن الجراح وابى مسعود الأنصارى انهم كانوا يترنمون بالأشعار فى الأسفار وكذلك اسامة بن زيد وعبد الله ابن الأرقم وعبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهم ، والترنم كذلك ليس فى محل النزاع إذ هو من أنواع القسم الأول ـ يعنى المباح ـ من القسمين السابقين وقد مر انه لا خلاف فيه ، وبه يعلم أن الظاهر الذى يتعين القطع به أن غالب ما حكى عن الصحابة رضى الله تعالى عنهم ـ وعمن بعدهم من الأئمة إنما هو من هذا القسم الذى لا خلاف فيه ، وقد قال الإمام القـدوة خطيب الشام الدولقى من ائمتنا فى مصنفه فى السماع : انه لـم ينقل عن أحد من الصحابة رضى الله تعالى عنهم انه سمع الغناء ، أى المتنازع فيه ، ولا جمع له جموعا ولا دعا الناس إليه ولا حضر له فى ملأ ولا خلوة ، ولا أثنى عليه بل ذمه وقبحـه وذم الاجتماع اليـه . ا هـ .

قال العلامة ابن حجر : هذا لفظه ومن خطه نقلت . ا هـ .

فقد ثبت بهذا أن ما يعزوه السؤال إليهم وإلى الأئمة بعدهم غير صحيح لا سيما الإمام مالك ـ رحمه الله تعالى ـ الذى تشدد وبحق فى سد كل ذريعة تفضى إلى الفساد . ومثله سائر الأئمة رحمهم الله تعالى .

قال الإمام القرطبى فى الغناء المقطع على النغمات والمهيج للنفوس ، أنه حرام . . وهو مذهب مالك ، قال أبو إسحق : سألت مالكا عما يرخص فيه أهل المدينة من الغناء فقال : إنما يفعل عند الفساق ، فهو مذهب سائر أهل المدينة ـ يعنى العلماء منهم ـ وهو أيضا مذهب أبى حنيفة رضى الله تعالى عنه وسائر أهل الكوفة إبراهيم النخعى والشعبى وحماد وسفيان الثورى وغيرهم لا خلاف بينهم . . . الخ .

٨ ـ بعد ما أسلفنا من الأحاديث الشريفة والنقول الفقهية التى تبرىء ساحة الصحابة ولأئمة رضوان الله عليهم مما ننسبه إليهم ذوو الفتنة وأهل الهوى ، لا يسع المتدين بالإسلام إلا الإذعان والقبول وترك اللجاج والجدل بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير ، فإن السلامة فى التسليم ، والجماعة الجماعة ، ومن شذ شذ إلى النار وإنما يأكل الذئب من الغنم الشاه القاصية ، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم .

وليكن على ذكر منا وبال أن الحق فوق الأشخاص وأن دين الله هو الحجة على الناس ، أما هم فليسوا بحجة عليه كائنين من كانوا ، ويرحم الله الإمام مالكا حيث يقول : ما منا إلا من رد ورد

عليه إلا صاحب هذا القبر ، ويشير إلى النبى . فلا عبرة بكلام الباقورى إذا .

٩ ـــ ادعى السؤال أن العرب والمسلمين لم تدل دولتهم إلا حين دالت دولة الفن . . . الخ .

وواضح ان العرب والمسلمين لم تدل دولتهم لأنهم تركوا الغناء والمجون بل لأن الخلف منهم لم يلزموا طريقة السلف الصالح ولم ينهجوا نهجهم بل ركنوا على الدنيا واثاقلوا إلى الأرض ورضوا بالحياة الدنيا من الآخرة . ومعاذ الله أن تكون الصلابة فى الدين عنصر انهيار والله تعالى قال فى كتابه الكريم : « ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز . الذين ان مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهو عن المنكر ولله عاقبة الأمور » (١) .

وروى أبو داوود عن ابن عمر رضى الله تعالى عنهما عنه عليه الصلاة والسلام أنه قال : « اذا تبايعتم بالعينة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد لسلط الله عليكم ذلا لا ينزعه حتى ترجعوا إلى دينكم » .

١٠ ـــ الشىء إذا ثبت ثبت بجميع لوازمه . وهذا أمر مقرر شرعا لدى علماء الإسلام قديما وحديثا فما حرم من الغناء الفاسق فحرمته لا تختص بالرجال بل تمتد إلى النساء فتشملهن بل هن أولى بالحظر من الرجال لدقة إحساسهن ورقة شعورهن والهوى

---

(١) الحج : ٤٠ ـــ ٤١ .

تعصف ريحه بهن مالا تعصف بالرجال ، اللهم إلا فى العرس كما قدمنا إذا كان غناء بريئا كالذى علمه سيدنا رسول الله ﷺ زوجه عائشة الصديقة رضى الله تعالى عنها ، ما لم يشتمل على آلة لهو حاشا الدف فإنه مأذون فيه كما أسلفنا .

١١ ـ ذكر الله تعالى ورسوله عليه الصلاة والسلام فى الأغانى الفاسقة حرام ، إنشاد الأقوال الحماسية النافعة فى إذكاء روح الدفع عن الدين والكيان فحميد لا ضير فيه بعد أن يكون المنشد (رجلا) لا امرأة ولا أمرد جميلا (وبشرط أن لا تصحبه آلات اللهو المحرمة)وقد سبق ذكر هذا الحديث فى مبحث ما يحل وما يحرم من الغناء .

كما سبق ان من اقسام السماع ما هو محبوب كالذى تثار به احوال القوم اهل السير إلى الله تعالى من السادة الصوفية المتحلين بالتقوى ظاهرا وباطنا . المتجردين فى قلوبهم عن كل العلائق إلا علاقة واحدة صرفوا إليها هممهم وعكفوا عليها بأرواحهم ومنحوها كل مساعيهم ، هى علاقتهم بالله ربهم وبارئهم ومحبوبهم الأسمى ومقصودهم الأعلى ، فهم إذا سمعوا طابوا ، وعن الأكوان غابوا وقد يغشاهم من سماعهم هذا ما يقيم ويقعد ، ويدر الدمع ويثير كامن الوجد ويبعث ساكن الشوق من حيث أن السماع يهز الروح هزا ويحرك القلب بما فيه . وأن قلوبهم بربهم عالقة ، وعليه عاكفة ، وفى حضرة قربه قائمة ، فالسماع سقى لأرواحهم وإيقاظ لهممهم وإسراع فى سيرهم . **سماع هؤلاء الكرام غير السماع المخنث المائع الذى يدهده إلى إدراك الرذيلة والفحش ، ويبعث على الخنا والفحش ويسوق النفس إلى الرجس ، وينسى الواجبات**

الخاصة والعامة وتلك خطـة المستعمرين يفرقـون الأمـم التى استثمروها بسيول الأغانى الموبقة كيلا تصحو لواجب او تنهض إلى معـروف .

على أن فى حل سماع الصوفية (١) خلافا بين العلماء ومجيزوه يختصون بـه أولى الألبـاب الذين ملأ حب الله وغلبتهم خشيته سبحانه ، واحتاجوا إلى السماع احتياج الظمآن إلى المـاء البارد الزلال والمريض إلى الدواء ، وبشرط أن لا يكون فيهم أمرد جميل ولا من هو من غير طائفتهم ، وأن يكون اجتماعهم من اجل الله لا لطعام وشراب ونحوهما ، وأن تصح النية من القول مخلصا لربه غير متعلق القلب بمكافأة ماليـة وشبهها ، وأن يكون حكيما فى إسماعه فلا ينشد أهـل البدايات فى السلوك مالا يليق إلا بذوى النهايات الكاملين فإن لكل مقام رجالا . وقلب المبتدى لا يتسع لمـا يتسع له قلب المنتهى بل قد يفتتن ويضل بفهمه ما ليس مـرادا صحيحا ، وقد سئل الشبلى عن السماع فقال : ظاهره فتنة ، وباطنه عبرة ، فمن عرف الإشارة حل له السماع وإلا فقد استدعى الفتنة وتعرض للبلية . ومن شروطه عندهم أن لا يظهروا الوجد إلا مغلوبين للواردات والأحوال التى تطرقهم .

ومن هذا ونحوه نعلم أنهم لا يسمعون لهوا ولا يأتون عبثا وهم فى واد والناس فى واد آخر ، وقد يعجب هؤلاء اذا شهدوا

---

(١) لايقصد العلامة المجاهد متصوفة اليوم فان معظمهم على ضلال لا يعلمون كتابا ولا سـنة ، جهـال فسـقه .. الا قليلا .

منهم وجدا او صياحا وبكاء أو اضطرابا ، والسر أنهم سمعوا ما لم يسمعوا او نظروا ما لم ينظروا وعرفوا ما لم يعرفوا .

لما ورد ذو النون المصرى بغداد جاءه قوم من الصوفية بقوالهم وطلبوا منه أن يأذن له بأن يقول فأذن له فأنشد :

صغير هواك عذبنى
فكيف به إذا احتنكا
وأنت جمعت فى قلبى
هوى قد كان مشتركا
اما ترثى لمكتئب
إذا ضحك الخلى بكا

فحصل لذى النون من الوجد ما إقامه ثم صرعه لوجهه ، وقام رجل آخر يتواجد فقال له ذو النون : « الذى يراك حين تقوم » فجلس . أى اتق الله الذى يراك فإن لم يكن بك وجد كنت كاذبا . وقال مسلم العبدانى : قدم علينا صالح المرى ، وعتبة الغلام ، وعبد الواحد بن زيد ، ومسلم الأسوارى ونزلوا على الساحل ، فهيأت لهم طعاما ودعوتهم إليه فجاؤا إلى ، ولما وضعت الطعام بين أيديهم قال قائل :

وتلهيك عن دار الخلود مطاعم
ولذة نفس غيها غير نافع

فصاح عتبة الغلام صيحة وخر مغشيا عليه وبكى القوم فرفعت الطعام من بين أيديهم وما ذاقوا والله لقمة منه .

وسمع أبو الحسين النورى من يقول فى مجلس سماع :

لازلت أنــزل مــن ودادك منــزلا
تتحــير الألبـــاب دون نزولــه

فتواجد وهام على وجهه فوقع فى مزرعة قصب قــد قص وبقيت أصوله يتردد فيها مرددا هذا البيت الذى سمعه ولا يشعر بتجريح أصول القصب لقدميه والدم ينــزف منهما فتورمتا ومات رحمه الله تعالى ورضى عنه .

وقدم أبو الحسين الدراج بغداد فطلب يوسف ابن الحسين الرازى حتى لقيه فقال له يوسف : اتحسن ان تقول شيئا ؟ قال . فقلت : نعم ، فقال : هات ، فأنشأت اقول :

رايتــك تبنى دائبــا فى قطيعتى
ولو كنت ذا حــزم لهــدمت ما تبنى
كــأنى بكم والليت أفضــل قولكم
ألا ليتنــا كنــا إذا الليت لا يغنى

فبكى حتى ابتلت لحيته وابتل ثوبه ورحمته من كثرة بكائه .

وقائعهم رضى الله تعالى عنهم فى هذا كثيرة وقد شهدنا فى زماننا هذا بقايا من هذا النوع الطيب الكريم .

والذى أقصد إليه هو أن سماع القوم الصالحين لا يقاس به سماع الفجرة المجرمين :

بدرى أرق محاسنا والفرق مثل الصبح ظاهر

وبعـــد : فأرجو أن أكون وفيت السؤال حقـــه من الإجابة الصحيحة التى ابتغيت بهـــا إحقاق الحق وإزهاق الباطل . وما وراءها فهو سفه وشغب لا وجه له عند العلماء والله عليم حكيم . واستغفر الله العظيم .

وفى الختام أتلو على نفسى وعلى القراء قول الله تبارك وتعالى لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام . « قـــل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم . فمن اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل . واتبع ما يوحى إليك واصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين » (١) .

---

(١) يونس : ١٠٨ ــ ١٠٩ .

رقـــم الإيداع الداخلى ٤٨٠٨ / ٩١

I . S . B . N 977 - 5203 - 01 - 5


دار الأسماء
وعلم آدم الأسماء كلها

